الكيان الصهيوني: غرب في المشرق العربي

بقلم ميشيل شحادة

لايزال الجدل مستعرا حول ورقة تناولت تحليل اللوبي الصهيوني في الولايات المتحدة كتبها البروفسوران ستيفن والت من جامعة هارفرد، وجون ميرشايمر من جامعة شيكاغو. وتطرح الورقة أن الكيان الصهيوني يتحكم بالسياسة الخارجية الأمريكية بطريقتين: 1- عبر "لوبي" احكم السيطرة على جهازي الحكومة التشريعي والتنفيذي، وأصبح مرجعية سياسية لكل ما يتعلق بـ "الشرق الاوسط".2- وعبر التحالف مع "المسيحيين الصهيونيين"، المنظمين في كنائس غنية مُسيَسة ومؤدلجة، تتمتع بتأثير متزايد في المجتمع الامريكي وفي الحزب الجمهوري الحاكم. *

ولما كان فهم العلاقة بين الكيان الصهيوني والامبريالية بات فهمها يشكل اهمية استثنائية للقوى المناهضة، فأن ما نطمح اليه هنا هو مناقشة فهم تلك العلاقة التي حيرت "العقل" السياسي العربي منذ احتكاكه التناحري الاول بالصهيونية. فرغم محاولات اماطة اللثام عن هذه العلاقة، واخرها مساهمة قيمة قدمها د. ابراهيم علوش من الاردن، الا انها بقيت تفتقر الى عناصر جوهرية تتعلق بفهم مبادئ واسس علاقة الكيان الصهيوني بالغرب. صحيح ان تفاصيل هذه العلاقة واشكالها ووعي اطرافها لها قد تطورت وتعمقت باستمرار، غير ان مبادئ هذه العلاقة لم تتغير. ومن الضروري فهم هذه المبادئ، لإنه يمكن ترميم الخطأ الناجم عن تقييم التفاصيل وحصر نتائجه السلبية. اما إذا أخطئ فهم المبادئ والاساسيات، فستكون النتائج السلبية كارثيّة.

ان لفتة الى الوراء تساعدنا على تمييز مدرستين متصارعتين في فهم هذه العلاقة. واحدة ترى، كما ناقشت ورقة ميرشايمر– والت، ان الكيان الصهيوني يسيطر على مركز القرار الامريكي في " الشرق الاوسط" بفعل لوبي ضاغط، يستمد قوته من جالية يهودية متوغلة عميقا في المجالات الحيوية الامريكية. وثانية تؤكد ان الولايات المتحدة الامبريالية هي السيد، وما الكيان الصهيوني سوى تابع او– بالأكثر– شريك صغير مدلل بسبب دوره المتميز في خدمة السياسة الخارجية الامريكية.

أ- تستحضر المدرسة الاولى عشرات من الشواهد المادية لدعم نظريتها القائلة بتحكم الكيان الصهيوني في السياسة الخارجية الامريكية، ومدى قوة اللوبي الصهيوني الذي ينتقم من الذين يجرؤون على انتقاد اي سياسة او تصرف يتعلقان بالكيان الصهيوني، حتى عندما يتجسس هذا الكيان على الولايات المتحدة نفسها. كما تستطيع هذه المدرسة ان تشير الى عشرات الدلائل التي تثبت قوة هذا اللوبي في توريط السياسة الامريكية فيما يبدو معاكسا لمصالح الولايات المتحدة في العالم العربي، مثل سياستها في احتلال العراق ومحاولة جر الولايات المتحدة الان الى حرب مع إيران.

والحق انه يصعب عدم الاقتناع بان الامر يبدو وكأن الكيان الصهيوني يمسك بالفعل بزمام السياسة الامريكية في المشرق العربي. ومن الصعب ايضا، امام زخم الدلائل، اقناع اصحاب هذه المدرسة بعكس ذلك، بل أنهم يعجبون كيف لا يرى الاخرون ما يرونه. والحال ان قيادات الجاليتين العربية والاسلامية في الولايات المتحدة هم، في الغالب،

من اتباع هذه النظرة، التي ترى الولايات المتحدة، بلدا بريئا يستغله لوبي شيطاني يساهم في توريطه بقضايا لا شأن او مصلحة او ارادة له بها، ويدفعه الى سياسات وحروب لا تقدم عنه سوى صورة مشوهه، وسمعة مدمرة، ويلطخ ويفسر هذا التفكير سجله (الناصع البياض!) ويقوده الى عكس ما تتطلبه "المصالح القومية الامريكية الحيوية." برامج "المجموعة الامريكية المختصة بفلسطين" التي تعتبر ان مهمتها هي "التعبير عن المصالح الامنية للولايات المتحدة من خلال تشكيل دولة فلسطينية،" وذلك بموجب وثيقة اهدافهم. وقد كتب السيد حسين ايبش مجسدا تفكير هذه المجموعة ذوي الصلة الحميمة بوزارة الخارجية الاميركية مهاجما البروفسورين اسعد ابو خليل وجوزيف مسعد لتعارضهما مع التوجه السياسي لمؤسسته المتحالفة مع الادارة الاميركية عندما كتب: "ان هذا التفكير [البروفسوران والمعارضون لتوجههم بشكل عام] قد قاد الجالية العربية الاميركية لإقصاء نفسها عن النظام السياسي [الاميركي] بشكل كبير، وهمش دورها في تكوين السلوك السياسي [الاميركي]، متيحا للوبي الاسرائيلي بذلك ملعبا خاليا دون معارضة." هذا كأنه كان بالإمكان تحقيق عكس ذلك لو ان الجالية العربية الاميركية انخرطت بشكل اعمق في النظام السياسي الاميركي.

وعليه، فأنهم يطالبون، من اجل اعادة هذا المارد الأمريكي "الساذج" الى موقعه الطبيعي، بكشف قناع هذا الثعلب الصهيوني المخادع امام الرأي العام الامريكي. وهذا لا يتم، كما يزعمون، الا من خلال التمرس في اللعبة السياسية الاميركية والتعامل مع الاعلام "الرسمي" الامريكي، واتقان لغة مخاطبته. هذه المجموعات من القوى العربية والاسلامية الاميركية المتواجدون في العاصمة الاميركية يحرضون ان يتم التغلب على اللوبي الصهيوني في المجالين الانتخابي والضغط السياسي، وذلك بحشد القوى، وجمع الاموال، ورصدها لبناء "لوبي عربي" ينافس اللوبي الصهيوني ويتغلب عليه بهذه المجالات. وبذلك يتم ارجاع الامور الى نصابها "الصحيح" وانقاذ المارد الاميركي "البريء" من براثن اللوبي الصهيوني المخادع، فيعود بذلك الى قواعده "الطبيعية" ...الى جانب العرب! لأنهم يرون ان السياسة الاميركية، كما يؤكد ايبش، هي "محصلة لحركة اجزاء مكوناته [اي مكونات المجتمع الاميركي] التي تتنافس بشكل حر للتأثير ضمن نظام أُعِد بالضبط ليضغط عليه من قبل اي فصيل ينوي التأثير في السياسة والقانون." هكذا بكل بساطة وسذاجة دون اي اعتبار للعوامل المادية والموضوعية التي تتعلق بمقدرات وامكانيات ومواقع الاجزاء المتنافسة ضمن المجتمع الاميركي، وبالتالي قدرته على التأثير السياسي.

والحقيقة ان هذا التوجه الذي تبنته الجماعات العربية الامريكية الاساسية ووضعته نصب عينيها ومبررا لوجودها، وعملت بموجبه منذ خمسين عاما، واوهمت الجالية العربية الامريكية بجدواه فحرمتها بذلك من اختبار اساليب وافكار اخرى في تحقيق مصالحها المهدورة، هذا التوجه هو الذي ادى الى تهميش الجالية العربية الاميركية، وليس كما يدعون ان السبب في هشاشة الجالية العربية الاميركية السياسي هو تفكير هؤلاء الذين تقديم فكر تستقوي به الجالية العربية في صراعها الاجتماعي–السياسي بدلا من تفكير المجموعات العربية الاميركية الهزيلة في واشنطن. فجماعة واشنطن من العرب الاميركيين يرون في تحول الجالية الى فكر سياسي اخر يتعارض مع توجههم يؤدي بالنتيجة الى فقدانهم لامتيازاتهم ومواقعهم ومصالحهم التي ارتبطت ارتباط تابعا مع المؤسسات والشرائح الاجتماعية المعادية لكل ما هو عربي ومسلم في المقام الاول. فحاربوا كل من سولت لهم نفسهم مجرد التساؤل عن توجه بديل، او التفكير في

استنباط فرضيات اخرى للعمل، وشككت بهم، ووصفتهم بـ "اليساريين الراديكاليين"، وكثير مما يمتلئ به قاموسهم من سلبية، وذلك في محاولة لتأليب الرأي العام العربي الأمريكي عليهم وضد افكارهم. كما انهم يصدرون فشلهم نحو الجالية العربية المهاجرة بتحميل ابناءها مسؤولية الفشل لأنهم كما يدعون جاهلون بالنظام "الديمقراطي" الاميركي، وانهم غير ناضجين لا يعرفون مصلحتهم لأنهم اتوا من مجتمعات عربية متخلفة، وانهم لا يقومون بدعم "قيادات الجالية" بالمال الكافي لمواجهة الدعاية الصهيونية الثرية، وإنها متقوقعين لا يشاركون في الانتخابات (مع ان الاحصائيات تقول عكس ذلك. كتب الأكاديمي شبلي تلهمي في مقالة عنوانها "العرب والمسلمين الاميركيين، لمحة سريعة": " بموجب احصائيات حديثة، ان العرب الامريكيين يتبرعون نسبيا أكثر للانتخابات الرئاسية من اي مجموعة اثنية اخرى في اميركا." وكتبت آن ببر في صحيفة اورانج كاونتي ريجستر: "العرب الاميركيين والمسلمين ينتخبون دائما بأعداد كبيرة. التقديرات ان 79% منهم مسجلين للانتخاب و85% منهم ينتخبون بموجب احصائية عملت لصالح جامعة جورج تاون في في واشنطن دي سي عام 2001.")

وفي معظم الاحيان تتميز هذه "القيادات" المنصبة قسريا على الجالية، بكونها عنصرية حيال الاقليات "الملونة". اذ تصنف هذه "القيادات" نفسها "بيضاء،" وتمارس عنصرية خفية ضد "الملونين"، رافضة ان ترى انها وإننا– كعرب– "ملونون" في نظر "البيض" و"الملونين" معا.

وهكذا، باتت الجالية العربية الامريكية، ضمن هذا التوجه الخاطئ، أضعف من الايتام على مأدبة اللئام. وانعكست برامج "القيادات" المذكورة في اشكال صورية سطحية لا تعير اهمية الا للمظاهر الاحتفالية، واخذ الصور التذكارية ع المسؤولين الرسميين، وبيعها الى الجالية بوصفها "قمة" في الانجاز السياسي! والمحزن ان هذه "القيادات"، رغم انبطاحها وقبولها بالفتات على مائدة النخبة الحاكمة، لا تزال تتلقى صفعات متتالية من هذه النخبة التي ترفضها جملة وتفصيلا. (من ينسى رفض المرشحين الاميركيين المذل لتبرعات العرب الاميركيين بمن فيهم جو كنيدي الذي رفض تبرعات السناتور العربي الاميركي جيمس ابو رزق، وهيلاري كلينتون التي ارجعت تبرع من5000$ من جمعية مسلمة.)

ب– وهناك المدرسة الاخرى، التي تطرح ان امريكا هي الاساس، وان الكيان الصهيوني ما هو الا اداة من ادواتها يستمد دوره ووزنه من قدرته على خدمة سياستها كما ونوعا. وأبان حرب الخليج الاولى زعمت هذه المدرسة أن اهمية الكيان الصهيوني للولايات المتحدة قد تلاشت بعد اكتشاف الغرب عجز "اسرائيل" عن مواجهة العراق وعجزها عن ان توفر على الولايات المتحدة مغبة التدخل العسكري المباشر في المنطقة. لكن التاريخ اثبت عقم هذا التحليل، اذ ازداد الدعم الامريكي للكيان الصهيوني، واشتدت العلاقة بينهما متانة، ولا سيما بعد احداث الحادي عشر من سبتمبر.

ضمن هذه المدرسة يمكن ان نحدد ثلاثة توجهات تلتقي هنا وهناك، وبدرجات متفاوتة، في فهم العلاقة بين الكيان الصهيوني والامبريالية الغربية.

1- توجه يعامل الكيان الصهيوني كأنه مجرد اجير للأمريكي، وان كان مدللا. ويستطيع اصحاب هذه الاتجاه استحضار عشرات الادلة الداحضة لنظرية المدرسة الاولى (المعتقدة بسيادة "اسرائيل" على امريكا) من خلال البرهنة بأن سياسة اميركا في المشرق العربي تتناغم وتتكامل تاريخيا مع سياستها الامبريالية تجاه العالم النامي كله: في امريكا اللاتينية، وافريقيا واسيا... وتتبنى هذا التحليل بشكل عام مجموعات من اليسار العربي والامريكي، بقيادة البروفيسور المشهور، نوم تشومسكي، والبروفسور جوزيف مسعد.

2- توجه ثان يرى ان الكيان الصهيوني استطاع ان يطور دوره من الاجير-الاداة الى موقع الشريك-الاداة للإمبريالية الامريكية. هذه النظرية، التي اسس لها الدكتور جورج حبش في ورقة قدمها في الذكرى المئوية لتأسيس الحركة الصهيونية العالمية في مدينة بازل (سويسرا) عام 1897، شكلت في حينه أكثر المحاولات العربية تطورا في محاولة فهم علاقة الكيان الصهيوني بالغرب الامبريالي. وقد كان دور هذا الكيان في خدمة السياسة الامريكية في امريكا الوسطى واللاتينية هو الذي قاد الى ذلك الاستنتاج آنذاك. ولكن نموذج التحليل الذي اتبع، اي المنهجية الماركسية الاقتصادية البحتة، فشل في التوصل الى كنه هذه العلاقة اذ ارتأى ان العلاقة برمتها اقتصادية. وعليه فأن هزيمة الكيان الصهيوني تتطلب-في عرف هذا التوجه- جعله مشروعا "خاسرا" لكي يتخلى الغرب عنه، مقدمة لإجلائه عن المنطقة. وواضح ان العامل الاقتصادي، وان كان اساسا في العلاقة المذكورة، يعجز عن الاحاطة بمجملها، ويفشل في تفسير الكثير من امورها عند الامتحان.

3-التوجه الثالث هو الاكثر تطورا وقربا من سبر غور هذه "العلاقة" بين الكيان الصهيوني والغرب الامريكي. فهو يتحرك بشكل سلس عندما يعزو مصدر نجاح اللوبي الصهيوني وقوته في أمريكا الى_كونه جزءاً لا يتجزأ من تركيبة النخبة الامبريالية الحاكمة. بيد ان هذا التوجه يتعثر عندما يعتبر "اسرائيل" كيانا مستقلا يشكل لب علاقته مع الغرب تقاطع مصالح لا غير. وعليه، فمن الممكن، اعتمادا على هذا المنطق، ان يتنافس على موقع "اسرائيل" في العلاقة المذكورة مع اميركا، أكثر من دولة، ومن من الممكن ان تخسر "اسرائيل" هذا الموقع المدلل مع اميركا لصالح كيان اخر استطاع ان يتقاطع بشكل اوطد مع "المصالح الامريكية". تماما كما تفعل السعودية ومصر والاردن التي تحاول منافسة "اسرائيل" في خدمة الولايات المتحدة. هذا التحليل يقع بنفس خطأ التوجهات المذكورة السابقة في كونه يترك فجوة في علاقة الكيان الصهيوني مع الغرب الامبريالي يمكن النفوذ منها لفسخ هذه العلاقة تدريجيا عن الغرب، مقدمة لهزيمة الكيان الصهيوني واقصائه عن المنطقة، او التحالف معه على قدم المساواة، اعتمادا مع من تنكلم، حيث من الممكن ان يأتي هذا التصور من اتجاهين متناقضين ومتناحرين احدها يريد فسخ العلاقة بين الغرب والكيان الصهيوني مقدمة لهزيمته، وأخر يريد ان يصبح بمقامة الكيان الصهيوني عند الغرب ليتحالف معه على قدم المساواة ضد الطرف التذي يريد هزيمته وهم معه.

اذن، ماهي هذه العلاقة بعد كل ما تقدم، وهل هناك مجالا لتفاسير اخرى؟ نقطة الانطلاق للإجابة على السؤال تكون من الاتفاق مع التحليل الذي رأى ان اللوبي الصهيوني ليس الا جزأ عضويا من التركيبة الحاكمة في الغرب، وهو لوبي امريكي محلي يضغط بنفس اتجاه مصالح الشرائح الاجتماعية الامريكية الحاكمة وليس بعكسها كما يظن البعض.

لا يقصد هنا ان المجتمع الامريكي منسجم، وان نظامه السياسي يقع خارج قوانين الصراع الاجتماعي، وإننا عندما نتكلم عن مصالح امريكية، فإننا بذلك نتكلم عن "مصلحة قومية" موجودة خارج هذا الصراع. بل ان هذه "المصلحة القومية" هي نتيجة لعملية صراعية اجتماعية يكتب تفاصيلها الجانب المنتصر، الذي يتكون بالعادة من ائتلاف تتحدد طبيعته بالمصالح التي تنطوي تحت لوائه. وحقيقة قوة اللوبي الصهيوني تأتي من كونه عضوا في هذا الائتلاف الحاكم. ويشكل اللوبي الصهيوني رأس حربة الدفاع عن دعم الولايات المتحد لـ "اسرائيل" وسياستها العدوانية هو جزء من "المصلحة القومية". كما يشكل تخصصا في مراقبة سياسات الادارة الامريكية فيما يتعلق بالكيان الصهيوني، وفيما يتعلق بالمعارك الاجتماعية الضارية التي تدور رحاها ضد الطبقات الاجتماعية الفقيرة والمسحوقة، والاقليات العرقية الملونة، بشكل عام، والمساعدة في تهميش وضرب القوى المعارضة لسياسات القوى الحاكمة، عندها يبرز دور الكيان الصهيوني، وعلاقته مع الائتلاف الامريكي الحاكم. ويسعى اللوبي الى ابقاء القوى المعارضة ضعيفة ومهزومة ومطاوعة باستخدام صفة التحدث باسم "الاثنية اليهودية" و"حق الدفاع" عن اليهود من "معادي السامية". عندما تم الكشف عن ان منظمة (آنتي ديفيميشن ليبغ (Anti-Defamation League (ADL) اليهودية في مدينة سان فرانسيسكو، كانت تتجسس على النشطاء السياسيين المعارضين للسياسة الامريكية، والاحتفاظ بدوسيات شخصية عن قياداتهم، لم يكن هذا التجسس ضد العرب الامريكيين فقط، بل تعداه ليضم في صفوفهم جميع التوجهات السياسية الممثلة لمصالح السود الامريكيين، وللمعارضين للتدخل السياسي والعسكري في امريكيا الجنوبية والوسطى، والفلبين، وكوريا، وجنوب افريقيا ...الخ، اضافة الى معارضي الحرب، ودعاة السلام، والحقوق المدنية والمهاجرة وحقوق الانسان.

اما فيما يتعلق بالكيان، فالملاحظ ان الاحتفال بـ "عيد "استقلال اسرائيل" يتم حتى في مدن صغيرة حيث ترفع الاعلام الاسرائيلية في الشوارع. والاغرب ان المرشحين لعضويات البلديات في مدن اساسية، او لرئاسة البلدية، تراهم يأخذون مواقف علنية من اسرائيل، حيث من المفروض ان يكون ذلك متعلقا بالمؤسسات الفيدرالية، لا في بلديات محلية لا شأن لها بالسياسة الخارجية. وليس هناك سوابق لذلك في التاريخ الامريكي. بالإضافة الى اخذ قرارات اعتراف ودعم سنوية "لأعياد اسرائيل بالاستقلال" في مجلسي الشيوخ والنواب الامريكيين واخرهما عام 2006. كل ذلك يعني ان اسرائيل اصبحت شأن داخلي امريكي، وليس شأن تحالفي من وظائف السياسة الخارجية فقط. السليقة العربية كانت تعبر بشكل فطري عن هذا الفهم بقولها: "اسرائيل هي الولاية الواحدة والخمسين الامريكية." ولكن الاعمق من ذلك **ان اسرائيل قد دخلت الى قلب الاعتبارات الامنية للإمبريالية الغربية بقيادة امريكا.** فليس هناك فجوة للدخول منها لفصم هذه العلاقة بالمنافسة على قلب امريكا ضد "اسرائيل". فبقاء ونجاح "اسرائيل" ربط بشكل مباشر بأمان الشرائح الحاكمة في الولايات المتحدة ومصالحها. وهذا ينطلق من رؤيتها التي **لا ترى في الكيان الصهيوني تحالفا مصلحيا فقط، بل اسقاطا لها وللعنصر الاوروبي في المنطقة**. فعندما فقد الاتحاد السوفياتي موقعه كمركز الخطر الوجودي الاول عند الغرب الامبريالي للعالم العربي، سرعان ما تبوأت اسرائيل موقعها كرأس حربة غربية غائصة عميقا في الجانب العربي. فهذا ليس فقط بعدا اقتصاديا، وانما اسقاطا شموليا لجميع الجوانب السياسية والايدولوجية والثقافية في المعركة الدائرة للسيطرة على المشرق العربي.

من الممكن ان يرى البعض في هذا المنطق وقوعا في فخ اطروحة، صموئيل هنتنجتون، "صراع الحضارات"، التي تفترض ان هناك وضعا بنيويا في الحضارتين الشرقية والغربية يفرض هذا الصراع الطبيعي بينهما بشكل لا يمكن تفاديه. لا يتبنى منطقنا هذه الاطروحة، وانما يقر بان هناك هجمة غربية امبريالية شاملة ضد المشرق العربي من طرف واحد، وردة فعل من المشرق العربي للدفاع عن النفس. اي ان ردة الفعل ليست من نوع الفعل كما تفترض نظرية هنتنجتون بأنه فعل هجومي متساوي ومتناقض ينبع من داخل البنية الاجتماعية، التاريخية، الحضارية للطرفين.

والقول بأن اسرائيل ادرجت استراتيجيا في المعادلة الامنية للغرب الامبريالي، لا يعني فقط البترول والسوق العربيين، وتأثير ذلك على ما يسمونه في الغرب "نمط معيشتهم"، وابقاء العالم العربي مفتتتا وثرواته مهدورة، وانما يتعدى ذلك الى مرض "جنون الارتياب (بارانويا Paranoia)" المتوغل في البنية السيكولوجية للطبقة الحاكمة البيضاء في الغرب، خصوصا التي ترى ان عرقها "الابيض" قد بات أقلية مستهدفة من العوالم الفقيرة "الملونة"، التي تنتابها الغيرة من "نجاح البيض" الاقتصادي في بناء مجتمع الوفرة بمهارتها وعرق جبينها. وترى ان مصيرها كعرق وكحضارة مهددين بالخطر: خطر المجتمعات "الملونة" في الخارج، وخطرهم كمهاجرين جاثمين في الداخل. ولا يخفون ذلك، بل يعلنونه بشكل دائم وواضح، ويحرضون مجتمعاتهم على اساسه لإبقاء جماهيرهم مكبلين بسلاسل الرعب من هذا الخطر الوهمي. ويسخرون لهذا الغرض آلة اعلامية بالغة التطور لم يشهد لسيطرتها مثيلا. الة مدهشة تصل في قدرتها حد التنويم المغناطيسي للجماهير وسلب اراداتهم بشكل كامل. ونجحوا بذلك بشكل اسطوري. فمعظم هذه الجماهير صهرت وتقولبت، كما لو في مصانع، خلال العقود الماضية، على عقلية كولونيالية عنصرية، ترى نفسها في قمة الهرم البشري لها حق التصرف بالثروات الانسانية كما لو بمرسوم ألهى. والمخيف في الامر، انهم يعتبرون أنفسهم تجسيدا للخير والتقدم على الارض، ويستغربون لماذا "يكرههم" العالم وهم تجسيدا للخير ذاته. وما دهشة الرئيس الامريكي، جورج بوش الابن، عندما تسائل مستغربا، بعد حوادث الحادي عشر من سبتمبر الارهابية:" لماذا يكرهوننا"، الا تعبيرا عن هذه النفسية. ويتجلى هذا سياسيا بتأييد هذه الجماهير للأصوات الاكثر قساوة ضد من يصنفونهم "اعداء" او "ناكرون للجميل" من قبل الحكومة، ولا يغيرون هذه النظرة الا عندما يجبرون على ذلك عندما يصطدمون بمقاومة صلبة تكبدهم خسائر مادية وبشرية كما حدث في فيتنام والان في العراق، عندها تتفتح عيونهم على الحقيقة المؤلمة.

هكذا، تكون اسرائيل اسقاطا هجوميا فريدا من نوعه في وسط "العدو الخارجي". واللوبي الصهيوني جزء من آلية مكافحة "العدو الداخلي" في المجتمعات الغربية. فبالحقيقة لا توجد فجوة لتلك القوى التي تريد هزيمة المشاريع الامبريالية بمنافسة الكيان الصهيوني بالتسلل من خلالها لأسر لب وعقل الحاكم الغربي، الا إذا تغير الغرب نفسه. هذا لا يلغي ان الكيان الصهيوني يتمتع بحيز فيزيائي مستقل. فكونه "اسقاطا" لا يعني كونه "خادما". بل على العكس، فأنه يتمتع ضمن هذه العلاقة، بمواصفات وقوة يتفوق بها على الكثير من الولايات الامريكية نفسها. فهو متحرر من قوانين الدول الغربية، مما يسمح له بالمناورة خارج هذه القوانين عندما يحتاج الامر لذلك. بالإضافة الى ان له دينامية اجتماعية وسياسية وبيئية لها استقلالها، وقوانين اقتصادية وايدولوجية، طائفية–قبلية لها حركتها. فالكيان ليس موجودا فقط لتنفيذ الاوامر، بل له احتياجاته الخاصة. وتناقضاته مع المركز، ولو كانت احيانا حادة،

هي تناقضات حقيقية، ليست خارج هذا المفهوم، ولا تتعارض معه. ولا يعني ايضا انه ليس هناك قوى داخل الكيان الصهيوني نفسه تطمح بتغيير هذه العلاقة مع الغرب على اسس قومية طبيعية كأي علاقة حميمة بين دولتين. فبالحقيقة هي علاقة معقدة لا تتعارض بكل تجلياتها على الارض مع مبدأ كونها في الاساس اسقاطا غربيا–امبرياليا يتم تطور وعيه لنفسه باطراد منذ التصور الاول للمشروع، وخلال تنفيذه، حتى واقعه الآن. وتأتي الحرب الشرسة التي تشنها آلة الحرب الصهيونية الهمجية على شعب لبنان بقرار اميركي بشكل لا يدع مجالا للشك على نوع العلاقة بين أميركا والكيان الصهيوني بحيث أنك لا تدرك من اين يبدأ الاول لينتهي الثاني او العكس فهما مترابطان عضويا حيث يشكل الكيان الصهيوني عضوا في الجسم الامبريالي.

ماذا يعني هذا؟

يعني بشكل عام جدا ان هزيمة المشروع الامبريالي (The Empire Project) وعقليته بشكل هو الحل الوحيد. ولن يتم ذلك الا من خلال تحالف عالمي بين القوى المناهضة، التي ترى في النضال تحويلا للعلاقات الانسانية على اسس العدل والمساواة واحترام التنوع العرقي والحضاري والبيئي والعمل بآليات ديمقراطية. اما مرحليا فيكون باعتماد هذا الفهم لخلق برامج لا تتهافت خلف الاوهام والفتات، بل تسعى باستمرار لبناء جبهات جماهيرية عريضة ضد الحروب ومن اجل السلام، والعدل الاجتماعي والاقتصادي، ومناصرة قوى التحرر العالمية للاستقلال والتحرر من التخلف والتبعية للإمبريالية المعلومة والكولونيالية الغربية ومخلفاتها.

اما العالم العربي فعليه ان يبدأ بالبحث عن ادوات معرفية واساليب سياسية لتوحيد جهوده ومصادره ضمن تكامل قومي لصد المشروع الامبريالي في المنطقة. بنفس الوقت، على القوى العربية الحية الصمود امام الكيان الصهيوني، كأسقاط امبريالي، ورفض تطبيعه. فالتطبيع يعني الخضوع له والقبول بإبقاء العنصر العربي وقودا لرفاهيته. فلا يمكن للصهيونية ان تتعايش مع المنطقة الا كسيدة مستبدة. وهزيمتها ليس مستحيلا كما يدعى، وان كان ذلك يتطلب الكثير، وعلى امد طويل نسبيا. فالكيان يعيش تناقضات بنيوية، ومع بيئته العربية، ومع المسار التاريخي المتخطي للقبلية، والعنصرية، والانعزالية، باتجاه الانفتاح، والاختلاط الانساني والمساواة. فبالمعيار التاريخي هو قطار يتسارع نحو محطته النهائية.